مقاصِد العُدول الصَرفي في سورَة البَقَــــرة

د. حشلافي لخضر جامعة الجلفة، الجزائر
أ. الود الود ، جامعـــــــــــــــــة الجلفة ، الجزائر

ملخَّــص

العدول الصرفي ظاهرة أسلوبية مميّزة في القرآن الكريم، وقد حظي باهتمام الدارستن من أجل الوقـــوف على مقاصد التحولات من وراء العدول عن صيغة إلي صيغة أخرى.

يتعلق المفهوم اللغوي للعدول في المعاجم العربية بمعنى الميل والانحراف، أمّا اصطلاحا فهوالخروج عن المستوى القواعـــــدي إلي المستوى الفني بوعي صاحبه لغاية فنية، وقد أصبح العدول أهمّ مباحث علم الأسلوب.

تناول العلماء المسلمون القدامى العدول بعدة تسميات نظرا لتعدد مجالات التصنيف كالعدول، والالتفات، والانزياح، والخروج عن سنن اللغة، والمجاز، أمّا الدراسات الحديثة فعبّرت عن العدول بمصطلحات عديدة منها الانحراف، والانزياح، والاختلال، والانتهاك، والتجاوز، والمخالفة، واللحن، وخرق السنن، والشناعة، والإطاحة، والتحريف نظرا لتأثر المحدثتن بالدراسات الغربية المختلفة، واختلاف الترجمة.

للعدول مستويات كثيرة منها الصوتي، والمعجمي، والتركيبي، ومنها الصرفي الذي اختصت به هذه الدراسة تطبيقا على سورة البقرة للتعرف على مقاصده، وغاياته.

Résumé

La déviance morphologique est un phénomène stylistique spécial dans le Saint Coran qui a drainé l'attention des chercheurs afin d'observer et de déceler les finalités de la transformation d'une forme vers une autre.

La déviance signifie linguistiquement dans les dictionnaires arabes «la propension « , la déviation, la sortie et la neutralité.

Terminologiquement, elle est la sortie du niveau grammatical vers le niveau stylistique intentionnellement dans un but esthétique, et dans les limites de la langue. Elle devient non seulement l'un des objets de la stylistique ,mais la stylistique elle-même .

Les anciens savants musulmans ont abordé le terme de « détournement » à cause de la diversité de ses classifications, glissement,

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

sortie des traditions; allégorie. Concernant les études modernes, ils optent pour comme déviance, glissement, dysfonctionnement, violation, dépassement, faute, dérogation aux coutumes, abomination, chute, falsification à cause de l'influence des études occidentales sur les novateurs.

La déviance a plusieurs niveaux: acoustique, lexical, structural et morphologique qu'on trouve dans notre recherche en application sur la sourate de la vache pour connaitre ses finalités.

شكّل العدول الصرفي ظاهرة أسلوبية متميّزة في القرآن الكريم، وقد حظي بنصيبٍ وافرٍ من الاهتمام، والدراسة من أجل الوقوف على دلالات التحولات على مستوى الصيغ المختلفة، وكشف الأسرار والغايات من وراء العدول عن صيغة إلى أخرى، و الوصول إلى لطيف النكات والمرامي، ودقيق المقاصد التي لا تدُرَك إلا بكثرة المشق، وإعمال الفكر.

1 - مفهوم العدول لغة واصطلاحا :

1 - 1 - المفهوم اللغوي :

إنّ المتصفح للمعاجم اللغوية يلفي لمادة (ع.د.ل) معاني شـــــتى منها : سوّى وشبّه، قال ابن منظور:« عدل الكافر بربّه عدلا، وعدولا اذا سوّى به غيره، فعبده » [1]، وقـــال : «وفلان يعدل فلانا أي يساويه، ويقال ما يعدلك عندنا شيء أي ما يقع عندنا شيء موقعك، وعدل الموازين والمكاييل سواها، وعدل الشيء يعدله عدلا وعادله وازنه، وعادلت بين الشيئين وعدلت فلانا بفلان إذا سوّيت بينهما »[2]، وقال صاحب مختار الصحاح:« وعادلت بين الشيئين، وعدلت فلانا بفلان اذا سوّيت بينهما . »[3]

غير أنّ هذه الدراسة تهتم بمادة(ع.د.ل) من حيث دلالتها على معنى آخر هو الميل، والانحراف، والحياد عن الأمر، والانصراف عنه إلى غيره، قال ابن منظور:« عدل عن الشيء، يعدل عدلا وعدولا حادَ، وعن الطريق جارَ، وعدل إليه عدولا رجع، وماله معدل ولا معدول أي مصرف . »[4]

وذكر صاحب المعجم الوسيط هذه المعاني وغيرها، يقول(عدل) عدلا وعدولا مالَ، ويقال عدل عن الطريق حادَ، وإليه رجعَ »[5]، والباحث في المعاجم العربية يلحظ تعلّق هذه المادة بمعنى الميل والانحراف، والخروج، والحياد.

1 - 2 - المفهوم الاصطلاحي :

قبل تعريف العدول يجب أن نشير الى مستويات المعنى في الكلام، حيث ينقسم إلى ثلاثة أقسام، يتعلق أولها بالمستوى النمطي الذي تفرضه القاعدة النحوية، وهذا المستوى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الكلام يُسمى الاستعمال المألوف، والتعبير البسيط، والتعبيرالشائع، والوضع الحيادي، والنمط العام، والعبارة البريئة، والخطاب الساذج، والدرجة الصفر، أما الثاني فهو المستوى الفنّي الذي نتجاوز فيه صلابة القاعدة دون أن يُعدّ ذلك خطأ لأنّه حدثَ لغاية صاحبَها وعيٌ من مستعمل اللغة ويُسمّى هذا المستوى كذلك بالانحراف، والانزياح، والاختلال، والانتهاك، والتجاور، والمخالفة، واللحن، وخرق السنن، والشناعة، والإطاحة، والتحريف.

أمّا المستوى الأخير فهو المستوى المرفوض، والذي يتجاوز فيه مستعمل اللغة المستوى النمطي لغير غاية فنية، ودون وعي وإدراك لهذا التجاوز، يقول عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي:« نكون أمام ثلاث مستويات من الاستعمال اللغوي ينتج عنها ثلاثة مستويات من المعنى: الأول: المستوى النمطي النحوي، الثاني: المستوى الفني البلاغي، الثالث: المستوى المرفوض (الخطأ) . »[6]

وإذن فالعدول اصطلاحا هو خروجٌ عن المستوى النحوي النمطي، إلى المستوى الفني البلاغي بعمدٍ ووعي من مستعمل اللغة، طلبا لغاية فنية، وفي حدود ما تسمح به اللغة، وذلك ما يؤكده عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي حين ربط العدول بالمستوى الفني للغة، وبالمعايير النحوية اللغوية، حيث يقول: « وذلك لأنّ ما يقع في المستوى البلاغي من العدول أو الخروج أو الانحراف غالبا ما يكون مقننا مضبوطا بقواعدَ لغوية تقنن هذا العدول، أو يكون هذا الابتكار، والتوسع في الاستخدام له ما يُسوّغه ويُبرّره بحيث لا يعدو كونه ضرورة لغوية مسموحا بها بقيودٍ عليها . »[7]

ويشير عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي إلى أنّه استقى هذه التصنيفات من آراء عبد القاهر الجرجاني، مبينا وصول الشكلاني تودوروف إلى التصنيف نفسه، وذلك بتقسيمه للغة إلى هذه المستويات نفسها، يقول:« ولعل هذا الذي استوحيناه من كلام عبد القاهر هو ما قصد إليه تودوروف العالم اللغوي الشهير حيث يرى أنّ الاستعمال يُكرّس اللغة في ثلاثة أضرب من الممارسات المستوى النحوي – والمستوى اللانحوي – والمستوى المرفوض، ويرى أنّ المستوى الثاني يمثل أرحبية اللغة فيما يسع الإنسان أن ينصرف فيه . »[8]

ونظرا لأهمية العدول باعتباره ملمحا أسلوبيا يذهب بعض الدارسين المحدثين إلى اعتبار الأسلوب في حد ذاته مجموعة من الانزياحات، والانحـــــــرافات يقول عبدالسلام المسدي : « ويربط والاك وفاران مفهوم الأسلوب بمجموعة المفارقات التي نلاحظها بين نظام التركيب اللغوي للخطاب الأدبي وغيره من الأنظمة، وهي مفارقات تنطوي على انحرافات ومجاذبات بها يحصل الانطباع الجمالي . »[9]

ويقول كذلك:« ولا يخرج ريفاتير في تحديد الظاهرة الأسلوبية عن مفهوم الانزياح – وإن حاول الإيماء بغير ذلك – ويُعرّفه بكونه انزياحا عن النمط التعبيري المتواضع عليه، ويدقق مفهوم الانزياح بأنه يكون خرقا للقواعد حينا، ولجوءًا الى ما ندر من الصيغ حينا آخر . »[10]

ويقول رابح بوحوش:« ومن هذا المنطلق تهتم أسلوبيات العدول اهتماما كبيرا في الخروج عن المعيار، وتعرف البحث الأسلوبي على أنه علم الانحرافات . »[11]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويؤكد حسن طبل أنّ سمة الانحراف صارت ملمحا عاما يُوسم به علم الأسلوب في حد ذاته، فيقول:« في ضوء هذا المنظور كان تعريف علم الأسلـــــوب بأنه انحراف عن قاعدة ما، أو بأنه لحن مبرر، أو هو انحراف عن نموذج اخر من القول يُنظر إليه على أنه نمط معياري، أو مجموع المفارقـــات التي نلاحظها بين نظام التركيب اللغوي للخطاب الأدبي وغيره من الأنظمة . »[12]

2 - مصطلح العدول بين القدماء و المحدَثين :

2 - 1 - العدول عند اللغويين القدامى :

تناول علماء اللغة العرب ظاهرة العدول ودرسوا وجودها في لغتهـــــــم بدءا بالعصر الجاهلي، حيث شاعت في لغة الجاهليين خاصة في الشعر، قال تأبط شرا، وهو من الشعراء الصعاليك :

بأنّي قد لقيت الغول تهوي ❖ بسهب كالصحيفة صحصحانِ

فاضربها بلا دهش فخرّت ❖ صريعا لليديـــــــن وللجران

فعدل عن المضي في قوله (لقيت) إلى الاستقبال في قوله (أضربها)، وقد تواتر استعمالها في الشعر الإسلامي نظرا لتأثر الأدب، واللغة بلغة القرآن الكريم الذي وردت فيه ظاهرة العدول، وغيرها من الظواهر البلاغية التي أعجزت الفصحاء، والبلغاء.

وقد تناولوا هذه الظاهرة في مختلف التصانيف في الفقه، واللغة، والتفسير، وغير ذلك، لكنّهم اختلفوا في التسميات، والمصطلحات، فعبّروا عن ذلك بمسمّيات عدة كالعدول، والالتفات، والانزياح، والخروج عن سنن اللغة، والمجاز.

ولعل الذي يبرّر هذا التعدد المصطلحي هو تعدد مجالات التصنيف، والتأليف، فاختص كل علم بمصطلحاته، فنجد المفسّرين يستعملون(العدول، والصرف)، قال الطبري:« فيُصرف الى المعاني التي صُرف إليها قوله(وتبتل اليه تبتيلا)، وما أشبه ذلك من المصادر المعدولة عن الأفعال التي هي ظاهرة قبلها . »[13]

واستعمل اللغويون والبلاغيون(المجاز، والالتفات)، فقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى في سورة فاطر:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ**(29) ﴾: « (وَأَقَامُواالصَّلَاةَ) مجازه: ويقيمون الصلاة ومعناه: وأداموا الصلاة لمواقيتها، وحدودها »[14] ، وأشار الأصمعي إلى الالتفات في حديثه مع أبي إسحاق الموصلي عن بيت جرير:

أتنسى إذ تُودعنا سليمى ❖ بعودِ بشامة، سُقي البشام

يقول:« أما تراه مُقبلا على شعره إذ التفت إلى البشام فدعا له »[15]، أمّا المشتغلين بفقه اللغة، فيسمّون هذه الظاهرة بأسماء من مثل(أسرار العربية)و(سنن العربية).

ومن هؤلاء الدارسين من يستعمل أكثر من مصطلح لهذه الظاهرة اللغوية، فابن الأثير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسمَ أحد أبواب كتابه» المثل السائر « بالالتفات، وفي هذا الباب أورد مصطلح العدول، يقول في باب الالتفات:« واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك . »[16]

ومصطلح العدول في التراث العربي يأتي لدلالات كثيرة منها العدول عن الحقيقة إلى المجاز، وفي هذا المعنى يقول ابن جني في باب الفرق بين الحقيقة والمجاز:« الحقيقة ما أُقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان بضدّ ذلك، وإنما يقع المجاز ويُعدَل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عَدِم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة . »[17] ويقول ابن الأثير:« وأما القسم الذي يكون العدول فيه عن الحقيقة إلى المجاز لغير مشاركة بين المنقول و المنقول إليه فذلك لا يكون إلا لطلب التوسع في الكلام وهو سبب صالح إذ التوسع في الكلام مطلوب »[18]، ومنها كذلك دلالة العدول في الأبنية والصيغ، يقول ابن الأثير:« وأعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيانِ أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك . »[19]

وممن استعمل العدول للدلالة على ترك طريقة في الكلام إلى طريقة أخرى جريا وراء البلاغة وحسن البيان الجرجاني حيث أورد في باب الحذف قول الشاعر:

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته ❖ عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فقال:« فقياس هذا لو كان على حد: (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أن يقول : لو شئت بكيت دما، ولكنّه كأنه ترك تلك الطريقة وعدل إلى هذه لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصا . »[20]

كما ذكر العدول في حديثه عن الفصاحة، والتشبيه، والاستعارة يقول:« اعلم أنّ الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تُعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يُعزى ذلك فيه إلى النظم، فالقسم الأول: الكناية، والاستعارة، والتمثيل الكائن على الاستعارة، وكلّ ما كان فيه على الجملة مجاز، واتساع، وعدول باللفظ عن الظاهر . »[21]

واستعمل الزمخشري(عدل) بمعنى التحول، وأشار إلى أن هذا يعرف ذلك بمصطلح الالتفات حيث يقول:« فإن قلت: لمَ عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم..... وذلك على عادة افتتانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب الى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد . »[22]

ومِن الذين تكلموا عن العدول في مستـــــواه الصرفي جمع من البلاغيين، والمفسرين منهم الألوسي حيث يقول في بيان المقصد من التحوّل في قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**(191)﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

« وكان الظاهر الإتيان بأمر المفاعلة إلا أنه عدل عنه إلى أمر فعل بشارة للمؤمنين بالغلبة عليهم أي هم من الخذلان وعدم النصر بحيث أُمرتم بقتلهم . »[23]

وسواء سمّى القدماء هذه الظاهرة بالعدول، أو الالتفات، أو المجاز، أو الانصراف كما أورده ابن المعتز في كتابة البديع، أو النقل كما ذكر السيوطي في كتابه الإتقان، أو الاعتراض عند الحاتمي، أو سنن العربية كما عند الثعالبي، وابن فارس...فإنّ هذه المصطلحات في النهاية كانت تحيل إلى تحوّل في الأسلوب، وخروج من طريقة في التعبير إلى طريقة أخرى، لأجل غاية، ونكتة بلاغية.

ونشير إلى أن مصطلح العدول لم يكن معروفا عند اللغويين العرب الأوائل، يقول عوض حمد القوزي:« ولكنّ الذي ينبغي معرفته أنّ أباعمرو لم يصرح باصطلاح العدل، ولا باصطلاح الصرف، وما أظنه هو، وعيسى بن عمرو، وابن أبي اسحاق من قبلهما قد عرفوا هذين الاصطلاحين بمعناهما الفني، وإنْ كانوا يعرفون ذلك استعمالا، وهذا ما يؤكد أن النحو كان معروفا، ولكنّ المُبتدَع هو الاصطلاحات، ولا مشاحة فيها . »[24]

2 - 2 - العدول عند اللغويين المحدثين :

يُسمّي اللغويون المحدثون ظاهرة العدول بمسميات عديدة كالانتهاك، والتجاوز، والإطاحة، وغير ذلك، يقول عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي:« هذا العدول قد عُبّر عنه في الدراسات الحديثة بمصطلحات عديدة منها الانحراف، والانزياح، والاختلال، والانتهاك، والتجاوز، والمخالفة، واللحن، وخرق السنن، والشناعة، والإطاحة، والتحريف... » [25]

وهي مصطلحات نشأت من ترجمة المصطلحات الغربية لمفهوم التحول، وقد أورد المسدّي في كشف الدوال المعبرة عن الواقع العرضي، أي عن ظاهرة التحول الأسلوبي مصطلحات كثيرة، وأرجع استعمالها إلى دراسات لغوية غربية، مثل« الانزياح والتجاوز عند فاليري، و الانحراف عند سبيتزر، والاختلال عند ولاك، وفاران، والإطاحة عند بايتار، والمخالفة عند تيري، والشناعة عند بارت، والانتهاك عند كوهان، وخرق السنن واللحن عند تودوروف، و العصيان عند آراقون . » [26]

ونظرا لتأثر الدراسة اللغوية العربية بالدراسات الغربية المختلفة، فقد شاع في العربية أكثر من مصطلح فيما يخص ظاهرة العدول مما يجعل دراستها عسيرة على الدارسين، ولا سيما المبتدئين.

ورغم هذا التعدد مصطلح العدول هو الذي يميل إليه كثير من الدارسين إلى اعتبارات متعددة، منها أنّ مصطلح العدول مصطلح شائع في الدراسات التراثية، يقول عبد السلام المسدي : « وعبارة انزياح ترجمة حرفية للفظة (ECART) على أنّ المفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو نُحيي له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدد، وهي عبارة(العدول) وعن طريقة التوليـــــــد المعنوي قد نصطلح بها على مفهوم العبارة الأجنبية . »[27]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كان المسدي قد استعمل مصطلح(العدول) لسمته التراثية، فإنّ عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي يضيف إلى هذا الدافع دافعا آخر هو أنّ هذا المصطلح لا يحيل على معنى الخطأ الذي توحي به مصطلحات أخرى كالانحراف، واللحن ...وغيرها، يقول:« وقد اخترت التعبير عن هذه الظاهرة بلفظ العدول لأمور :أولها :أنّ هذا التعبير هو اختيار أغلب البلاغيين القدماء كما سبق أن أوردنا، ثانيها: أنه أدقّ في التعبيرعن الظاهرة، ووصفها، ثالثها: أنّ لفظة الانحراف تشمل إيحاءات إضافية قد لا تناسب الظاهرة، ولعل أهمّ هذه الإيحاءات هو إيحاء الخطأ، وهو غير وارد في مصطلح العدول . »[28] كما يرتبط مصطلح(الانحراف) بالجانب النفسي الأخلاقي أكثر من ارتباطه بالجانب اللغوي، ودلالة الخطأ التي يوحي بها مصطلح(الانحراف) موجودة كذلك في مصطلح اللحن، فقد ارتبط هذا المصطلح بالخطأ في الإعراب نطقا، ومخالفة السليقة العربية خاصة حين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخل الأعاجم إلى الإسلام، فشاع اللحن، و فسُدت السجية العربية ممّا دعا إلى وضع النحو، قال الشاعر:

النحو يُصلح من لسان الألكن ❖ والمرء تعرفه إذا لم يلحن

وإضافة إلى معنى الخطأ، فهو يعني كذلك الميل بالكلام ليفطن له بعض الناس ممّن تريد لهم فهمه، ويغيب عن بعضٍ ممّن لا تريد أن يدركوا كنهه، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى في سورة محمد: ﴿ **وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**(30) ﴾: (في لحن القول) في نحوه، وأسلوبه،... و قيل: اللحن: أن تلحن بكلامك، أي تميله إلى نحوٍ من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض، والتورية، قال الشاعر:

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا ❖ واللحن يعرفه ذوو الألباب

وقيل للمخطئ : لاحن، لأنه يعدل بالكلام عن الصواب . »[29]

وإذن فمصطلح اللحن ينصرف إلى دلالات كثيرة خاصة منها معنى الخطأ مما لا يجعله بديلا مطروحا لمصطح العدول، يقول عوض حمد القوزي:« وقد توسّع معنى اللحن حتى أصبح يدل على أكثر من معنى، تضمنتها المعاجم العربية، وقد جمع ابن بري هذه المعاني في قوله: للحن ستة معانٍ، الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء، والفطنة، والتعريض، والمعنى . »[30]

ومن المصطلحات التي توافق العدول في المعنى إلا أنها تنصرف أكثر إلى الدلالة على معنى الخطأ مصطلح الغلط، وقد أطلق على خطأ الشاعر في المعنى، و صنّفه ابن عبد ربه في باب ما أدرك على الشعراء، يقول:« و ممّا أُدرك على لبيد قوله:

ومقامٍ ضيّق فرجتـــــه ❖ بمقامي و لساني و جـدلْ

لو يقوم الفيل أو فيّاله ❖ زلّ عن مثل مقامي و زحلْ

فظنّ أنّ الفيّال أقوى الناس، كما أنّ الفيل أقوى البهائم ... »[31]

وهناك مصطلح آخر يتسم بكونه مصطلحا تراثيا كمصطلح(العدول) و يدل على ظاهرة التحويل الأسلوبي، وهو مصطلح (الالتفات)، لكنّه يبقى أضيق منه من حيث شمول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعنى، و اتساع الدلالة، وذلك أنّه يقصُر عند كثير من البلاغيين، واللغويين – حتى المُحدثين منهم – على نوع من التحولات الأسلوبية المتعلقة بحالات الكلام من تكلُّم، وخطاب، وغيبة، فعبد الفتاح لاشين مثلا يذكر أنّ للالتفات ستَّ صوّر مشهورة عند علماء البلاغة، هي التحوّل من التكلم إلى الخطاب، ومن التكلم للغيبة، ومن الخطاب إلى التكلم، ومن الغيبة إلى التكلم، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب .

وهذه المصطلحات التي ذكرناها، والتي استعملت عند القدماء، وكذلك في الدراسات الحديثة للدلالة على العدول من أسلـــــــوب إلى آخر لغرض فني، مازالت تتناولها الدراسات اللغوية، و كلٌّ له حججه في اعتماد مصطلح دون آخر، بل إنّ بعض الدراسيين، يعتمد أكثر من مصطلح من هذه المصطلحات في الدراسة ذاتها، فيعبّر عن العدول بأكثر من مصطلح من المصطلحات الدالة عليه.

ومصطلح العدول في الدراسات الأسلوبية قد وجد موقعه باعتباره مبحثا من المباحث المميزة لعلم الأسلوب، بل هو الأسلوب ذاته، يقول عبد السلام المسدي:« ويربط والاك، وفاران مفهوم الأسلوب بمجموعة المفارقات التي نلاحظها بين نظام التركيب اللغوي للخطاب الأدبي، وغيره من الأنظمة، وهي مفارقات تنطوي على انحرافات، و مجاذبات بها يحصل الانطباع الجمالي . »[32]

وهو قولٌ يشير إلى تميز علم الأسلوب بظاهرة العدول أكثر من الظواهـــــر الأسلوبية الأخرى، كالاختيار، و التكرار إذا نظرنا إليه من جهة النص، ومن خلال هذا الكلام نستنتج أن العدول في دراسات علم الأسلوب صار ميزة أسلوبية من ميزات هذا العلم.

غير أن الاستقرار في تحديد هذا المبحث افتقرت إليه الدراسات التراثية البلاغية، فظلت ظاهرة العدول تنتقل بين أبواب البلاغة المختلفة، فهناك من نسبها إلى علم البديع، وهناك من ردّها إلى علم البيان، وهناك من قال بأنّها من أبواب علم المعاني، يقول حسن طبل : « فنحن حين نتصفّح كتب التراث البلاغي نجد أنّ الالتفات يُنسب تارة إلى علم البيان، وأخرى إلى علم المعاني، و ثالثة إلى علم البديع، وهو لونٌ من التأرجح لم يتعرض لمثله-فيما نعلم- مبحث من مباحث البلاغة، لقد كان أمر هذا التأرجح هينا يسيرا لدى البلاغيين الذين لم تتمايز عندهم – على نحو حاسم – تلك المصطلحات الثلاثة(المعاني، البيان، البديع)، ولم يتحدد كل منها بميدانه المستقل، ومباحثه الخاصة . »[33]

3 - مستويات العدول :

ميّزت الدراسات اللغوية بين عدة مستويـــــات من العدول، منها ما يأتي صوتيا على مستوى وحدات الكلمة، ومنها ما يأتي صرفيا متعلقا بصيغة الكلمة في صورتها المفردة، و منها ما يمكن العدول فيه خاصا بالمجال النحوي التركيبي، و يكـــون العدول كذلك على مستوى الكتابة، و على مستوى الدلالة.

فأمّا العدول الصوتي، فيتعلق بما يطرأ على الحروف العربية من تغيرات على مستوى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المخارج والصفات، كما يُعدّ من العدول الصوتي التنوعات اللهجية و اللثغية و الانحراف السمعي، وكذلك بظواهر تحدث على مستوى كالإدغام و الإبدال ... يقول تامر سلوم :« تغيرات التشكيل الصوتي – كالإدغام و الإبدال – ذات أثر قوي في تفهم العمل الأدبي، و لها دقة خاصة رغم تعقيدها وغموضها »[34]، فالأصل في الحرف أن يكون له مخرج، وصفات لكنه قد يخرج عن الأصل بسبب تأثره بما جاوره من حروف ذات صفات قوية حيث يتخلى عن صفة من صفاته التميزية تحت تأثير هذه المجاورة، ومثال ذلك تفخيم اللام حين تجاور حرف إطباق، فتتخلى عن صفتها التميزية وهي الترقيق مثل الصلاة، الظلام، ومن ذلك أيضا أحوال النون الساكنة لأنّ مخارجها تتنوع حسب ما يجاورها من الحروف.

ويكون العدول تحت تأثير ظواهر صوتية كالإدغام، أو فكّه كما في قوله تعالى في سورة آل عمران:﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**(31) ﴾، فإن العدول عن(يحبّ) إلى(يحبب) يضيف زيادة المعنى و تكثيره، وكأنّ كثرة الحروف تجانسُ معنى التكثير بإظهار الدال بدل إضمارها بالشدَّة، فيكون معنى(الحبّ) ظاهرٌ في رسم الكلمة كذلك.

ونقول أخيرا أن العدول الصوتي مهمٌ في الدراسة كغيره من المستويات الأخرى، و رغم بساطة وحداته إلا أنها مرتبطة بالسياق، يقول تامر سلوم : « هناك في الحقيقة تفاعل مستمر بين التشكيل الصوتي، والسياق بمعنى أنّ السياق قد يوسّع مدلول الصوت الأصلي أو يعدّله، وقد يؤدي إلى تغييره أو يُوجّه تصورنا له . »[35]

وقال بكري شيخ أمين في بيان الأداء الصوتي في قوله تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**(38) ﴾:« جرّب أن تُبـــدّل المفردة القرآنية، وتُحلّ محلّها(تثاقلتم)، ألا تحسّ أنّ شيئا من الخفة، والسرعة، والنشاط أوحت به(تثاقلتم) بسبب رصف حروفها، وزوال الشدّة، وسبق التاء قبل الثاء؟ إذن فالبلاغة تتم في استعمال(اثَّاقَلْتُمْ) للمعنى المراد، ولا تكون في(تثاقلتم)، وقد يكون العدول على مستوى التركيب، وهو يتميز بالخروج عن القاعدة النحوية إلى المستوى الفني من اللغة، وهذه السمة من البلاغة، والفنيّة هي ما يبرّر هذا الخروج.

ومن ذلك الخروج عن النسق الإعرابي كما في قول الله عز وجل في سورة النساء:﴿ **لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا**(162) ﴾ حيث خرجت كلمة (المقيمين) عن النسق الإعرابي لكلمة(المؤمنون)وهو الرفع.

أمّا العدول الصرفي، فيكون في ذلك التحول الذي يحدث بين الصيغ في السياق، يقول حسن طبل: « يتحقق الالتفات في هذا المجال كلما تخالفت صيغتان(في نسق واحد) من مادة معجمية واحدة من ذلك مثلا المخالفة بين صيغ الأسماء، أو بين صيغة من صيغ الاسم و أخرى، أو ما إلى ذلك مما لا يتمثل في اللغة الفنية عامة، وفي لغة القرآن الكريم خاصة إلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لمرامي، وأسرار بيانية يفتقدها السياق لو لم تكن تلك المخالفة »[36]، ويقول عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي :« ويمكن تصنيف الانحرافات طبقا للمستوى اللغوي الذي يعتمد عليه و بهذا الشكل يتم التمييز بين الانحرافات الخطية و الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والنحوية الدلالية . »[37]

وقد كان من الأحسن التدرج في الحديث عن المستويات من مستوى الحرف إلى الكلمة، فالجملة فالتركيب غير أنّ تعلّق البحث بالعدول الصرفي لأنه موضوع الدراسة.

ولهذا العدول الصيغي الصرفي مقاصد تكون في الصيغة، والسياق ترتقي بالكلام إلى درجة عالية من الإقناع، والقوة، والدقة في التعبير، يقول عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي : « ومن ثم يصح أن نعتبر السياق هو الأصل أو القاعدة التي تنحرف عنها الصيغة أو تعدل عنها إلى صيغة جديدة خالفت السياق لنكتة، أوغرض بلاغي تطابق به مقتضى الحال، وتتحقق به المعاني الفنية المطابقة التي هي غاية البلاغة . »[38]

4 - مقاصد العدول الصرفي في سورة البقرة :

4 - 1 - مقاصد العدول عن صيغة(فعّل) إلى صيغة(أفعل) :

ومن ذلك قول الله عز وجل في هذه السورة يُذكّر بني إسرائيل بنعمه عليهم ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ(49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**(50) ﴾، فقد عدل البيان القرآني عن صيغة(فعّل) إلى صيغة(أفعل) لغرض أسلوبي، ذلك أنه رغم اشتراك الفعلين(نجّى) و(أنجى) في المعنى العام الدال على تخليص الإنسان من المصائب والشرور إلا أنّ الصيغة الأولى تزيد بدلالتها الصيغية على التكثير والمبالغة وذلك ما يوافق سياق القصة، فقد كابد بنو إسرائيل تعنت فرعون، وقاسوا ظلمه على مدى زمن طويل، وذاقوا على يديه مرارة الاستعباد، وذلّ سبي النساء، وقتل الأطفال كل يوم، فكان بلاء عظيما مستمرا متجددا، أمّا مصيبة الغرق فهي واحدةٌ هيّنةٌ سرعان ما ينقضي ألمها، والعدول بين الصيغتين يلائم انتقال القوم من الشديد إلى اليسير، يقول حسن طبل:« فنحن نلحظ في الآيتين أنّ التخليص المدلول عليه بفعل التنجية(نجّى) في الآية الأولى كان من شرور آل فرعون التي تعدّدت فشملت بني إسرائيل في ذواتهم تعذيبا، وفي أبنائهم تذبيحا، وفي نسائهم استحياء، أمّا التخليص بفعل الإنجاء في الآية الثانية فقد كان فقط من خطر الغرق الذي كانت به نهاية هؤلاء الظالمين . »[39]

4 - 2 - مقاصد العدول عن صيغة(الماضي) إلى صيغة(المضارع) :

والغرض من هذا العدول إعادة تصوير الحدث الماضي، و استحضاره حتى كأنّ السامع يراه عَيانا، قال ابن الأثير:« وذاك لأنّ الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأنّ السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي »[40]، ومنه قول الله عز وجل:﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَوَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(102) ﴾، فقد عدلت الآية عن فعل المضي(اتّبعوا) إلى الفعل الدال على الحال(تتلو) مع أنّ الحديث يخصّ أحداثا مضت لمقصد أسلوبي هو حكاية الحال حتى يجعل الصورة الماضية تتجلى أمام السامع، ويعيشها في حاضره باستحضارها وتجسيدها، وهذا زيادةً في التأثير على السامعين، والأخذ بمجامع أحاسيسهم، ومشاعرهم.

وقد ذكر الألوسي هذا المقصد الأسلوبي، وأضاف إليه مقصدا آخرَ هو الاستمرار، ذلك أنّ وسوسة الشياطين لبني آدم مستمرة متجددة لا تنقضي بانقضاء الأزمان والآماد، يقول : « وصيغة المضارع لاستحضار الصورة، والدلالة على الاستمرار . »[41]

وفي هذا الغرض الأسلوبي نجد آية أخرى هي قولـــه تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ(87) ﴾، فكان العدول عن الفعل الماضي(كذّبتم) إلى الفعل المضارع(تقتلون) رغم أنّ التكذيب و القتل وقعا في أزمنة غابرة لكنّ الغرض هو استحضار صورة القتل وتجسيدها، وتقوية الاحساس بفظاعتها ذلك أنّ التكذيب هيّن بالقياس إلى القتل خاصة إذا كان المقتول نبيا مرسلا.

أمّا القرطبي فعلّل العدول في موضع مشابه لهذا في سورة المائدة بمراعاة النهايات والفواصل المتعلقة بما قبلها وما بعدها من الآيات، يقول بشأن قوله تعالى:﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ(70) ﴾:« أي كذّبوا فريقا وقتلوا فريقا، ... وإنما قال : « يقتلون « لمراعاة رأس الآية . »[42]

ومن العدول الذي جاء لمقصد التجدد، والاستمرار قوله تعالى:﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾، فإن كانت كتابتهم المحرّفة قد انتهت فس الزمن الماضي، فإنّ ما يكتسبونه من الوزر بسببها مازال مستمرا بمَن ضلّ بسببهم إلى اليوم من أصلابهم، وممن ارتضى ملّتهم.

ومن الآيات التي يظهر فيها هذا المقصد الأسلوبي للعدول قوله تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(212) ﴾، فقد عدل عن المضي إلى الحال لإفادة أنّ سخرية الكافرين من المؤمنين متجددة مستمرة غير محدودة بزمن، وقد أشار الزركشي إلى هذا المقصد في معرض حديثه عن قوله تعالى في سورة الحج﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(25) ﴾ حيث قال:« فيُشعر قوله»ويصدون» أنّه في كلّ وقت بصدد ذلك،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولو قال»وصدّوا» لأشعرَ بانقطاع صدّهم . »[43]

4 - 3 - مقاصد العدول عن الفعل إلى حكاية القول :

ويقع بين الأفعال عدول آخر لا يتعلق بالزمن، أو الصيغة الصرفية، وإنما يطال الضرب عن الفعل إلى القول ومن هذا النوع قول الله عز وجل:﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**(65) ﴾، فعدل عن ذكر الفعل(مسخناهم) إلى حكاية القول(فقلنا لهم كونوا قردة)، والطلب بعد فعل القول هنا ينفي أن يكون العدول من الماضي إلى الأمر لاقتضاء القول للأمر، ولهذا العدول مقصد بديع هو الدلالة على السرعة، واليسر، فدلّ التعبير بالقول على سرعة حدوث ذلك، وسهولته كالسرعة، والسهولة التي تُميّز القول عن الفعل، ومثل ذلك يُقال في آيات أخرى كقوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**(243)﴾.

4 - 4 - مقاصد العدول عن صيغة(الماضي) إلى صيغة(المضارع) :

ومن هذا النوع قول الله عز وجل:﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** (210) ﴾، قال الرازي في بيان هذا العدول:« قوله(وقُضي الأمر) معناه: ويُقضى الأمر، والتقدير: إلا أن يأتيهم الله ويقضى الأمر، فوضع الماضي موضع المستقبل، وهذا كثير في القرآن، وخصوصا في أمور الآخرة، فإنّ الإخبار عنها يقع كثيرا بالماضي . »[44]

وفي هذا العدول تنويع، وإبداع فني بليغ بجعل ما سوف يحدث في المستقبل بمنزلة الماضي الذي حدث وانقضى، فحتمية وقوعه في المستقبل مساوية لسالف الحوادث، ومُتحقَّق الوقائع، قال القزويني: « ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ المُضي تنبيها على تحقق وقوعه، وأنّ ما هو للوقوع كالواقع »[45]، ويكون هذا العدول للدلالة على سياق غير مألوف، قال ابن الأثير:« وفائدته أنّ الفعل الماضي إذا أُخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده لأنّ الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان و وُجد، وإنما يُفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يُستعظَم وجودها . »[46]

ومن مقاصد العدول عن الحال إلى المضي استحباب حصول الفعل كما في قوله تعالى:﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**(215) ﴾ فقد عدل عن المضارع(ينفقون) إلى الماضي(أنفقتم) للدلالة على الترغيب في الفعل، وإبداء استحبابه، قال ابن عاشور : « (وما أنفقتم) شرطٌ، ففعل (أنفقتم) مراد به الاستقبال، كما هو مقتضى الشرط، وعبّر بالماضي لإظهار الرغبة في حصول الشرط، فينزل كالحاصل المتقرر »[47]. ومن هذا الباب أيضا قول الله عز وجل:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**(159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا **وَبَيَّنُوا**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(160) ﴾ حيث عدلَ عن صيغة المضارع(يتوبون) إلى صيغة الماضي(تابوا)، والذي دلّ عليه السياق من خلال القرينة اللفظية(يكتمون) دلالة على الترغيب و الاستحباب.

4 - 5 - العدول من المصدر إلى اسم المصدر :

ومن مقاصد العدول التوسع في المعنى، كقوله تعالى:﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(245) ﴾، فاستعمل للفعل اسم المصدر لا مصدر الفعل حملا على سعـــــة المعنى، قال فاضل صالح السامرّائي : « فقد يُراد به ما يُقرَض فيكون مفعولا به، وقد يُراد به إقراضا حسنا، فيكون مفعولا مطلقا، وقد كسب المعنيين في هذا التعبير . »[48]

4 - 6 - مقاصد العدول عن صيغة المفرد إلى صيغة الجمع :

ويكون العدول من المفرد إلى الجمع، ومنه قولـــــــه تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(257) ﴾، فعدل عن المفرد(الظلمة) إلى الجمع(الظلمات) مع أنّ القرينة(النور) تقتضي إيراد المفرد، والمقصد هو التأكيد وملاءمة المعنى، فإفراد النور تأكيدٌ لوحدانية الله، ودلالةٌ على قلّة السائرين في درب الحق، وجمع الظلمات تأكيدٌ لتعدد طرق الغيّ، ودلالة على كثرة الواغلين فيه، وكلُّ صيغة تلائم المعنى الذي تدل عليه، قال الألوسي:« وأفردَ النور لوحدة الحق، كما أنّ جمْع الظلمات لتعدد فنون الضلال، أو أنّ الأول إيماءٌ إلى القلة، والثاني إيماءٌ إلى الكثرة . »[49]

4 - 7 - مقاصد العدول عن صيغة فعل إلى صيغة اسم :

وقد يقع العدول عن صيغة فعل إلى صيغة اسم، ومن ذلك قول الله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آَيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ(145) ﴾، فقد نفى اتباع أهل الكتاب لقبلة المسلمين بالفعل المنفي(ما تبعوا)، ثم عدل عن ذلك بنفي اتباع النبي صلى الله عليه وسلم لقبلتهم باسم الفاعل المنفي(ما أنت بتابع)، والمقصد من هذا الدلالة على التأكيد والثبوت، قال عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي:« الإخبار باسم الفاعل في هذه الجملة أدّى إلى تكرار الاسم فيها مما زادها تأكيدا ومبالغة في النفي المؤكد بالباء »[50]، وقال الكفوي:« اشتهر عند أهل البيان أنّ الاسم يدلّ على الثبوت، والاستمرار، والفعل يدلّ على التجدد والحدوث . »[51]

هذه بعض مقاصد العدول في سورة البقرة، ويبقى للمتدبرين في كتاب الله، الغائصين في أسرار إعجازه، و غايات الخروج على النسق فيه مجال خصب للدراسة، والبحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامـــــــش :

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت، ص : 430.
(2) المصدر نفســـــــــــــــه، ص : 430.
(3) الرازي، مختار الصحاح،تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت، د.ط، 1995، ص : 467.
(4) ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص : 430.
(5) عبد العزيز النجار وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبـــة الشروق، مصر، ط.4، 2004، ص : 588.
(6) عبد الحميد أحمد يوسـف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2002، ص : 72.
(7) المصدر نفسه، ص : 72.
(8) المصدر نفسه، ص : 72.
(9) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية، تونس، ط.3، 1982، ص : 102.
(10) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص : 102.
(11) رابح بوحـوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د.ط، د.ت، ص : 42.
(12) حسن طبل، أسلـــــوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1998، ص : 40.
(13) الطبري، جامع البيان في تأويـــــل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، ج5، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ص : 534.
(14) أبو عبيدة، مجـاز القرآن، ج2، تح: محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 1988، ص : 155.
(15) ابن رشيق، العمـــــــدة، عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط.1، 2001، ص : 58.
(16) ابن الأثير، المثل السائـــــر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، ص : 12.
(17) ابن جني، الخصائـــــص، ج3، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ص : 442.
(18) ابن الأثير، المثل السائر،ج1، ص : 348.
(19) المصدر نفســـــــــــــه، ج2، ص : 12.
(20) الجرجاني، دلائل الإعجـــــــاز، تج: د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995، ص : 134.
(21) دلائل الإعجاز، ص : 315 .
(22) الزمخشري، الكشاف، تح: محمد مرسي عامر، ج1، دار المصحف، القاهرة، ط2، 1977، ص15.
(23) الألوسي، روح المعاني في تفسيـــــر القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ص : 76-75.
(24) عوض حمد القوزي، المصطلح النحـــــوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1983، ص : 71.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(25) عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص : 142.
(26) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص : 101-100.
(27) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص : 163-162.
(28) عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص : 72.
(29) الزمخشري، الكشـــــــــاف، ج5،ص : 267.
(30) عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، ، ص : 14.
(31) ابن عبد ربه، العقـــــد الفريد، ج5، تح: أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 1983، ص : 360.
(32) انظر: عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضـــــــوء القرآن، دار المعارف، مصر، ط1، 1976، ص : 218-219.
(33) عبد السلام المسدي، الأسلوبيـــــة والأسلوب، ص : 102.
(34) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص : 27.
(35) تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقــد العربي، دار الحوار، سوريا، ط.1، 1983، ص : 54.
(36) المصدر نفسه، ص : 45.
(37) حسن طبل، أسلوب الالتفـــــــــــــــــــات في البلاغة القرآنية، ص : 56.
(38) عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القـــــرآن الكريم، ص : 72.
(39) عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص : 159-158.
(40) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص : 67.
(41) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص : 12.
(42) الألوسي، روح المعاني، ج21، ص : 157.
(43) القرطبي، الجامع لأحكام القــرآن، ج6، تح: أحمد عبد العليم البردوني، دار الكتاب العربي، ط2، 1952، ص : 247.
(44) الزركشي، البرهان في علوم القــــرآن، ج3، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1391هـ، ص : 336، 337.
(45) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج5، دار الفكــر، بيروت، ط.1، 1981، ص : 235.
(46) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط.4، 1998، ص : 77.
(47) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص : 15.
(48) ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج2، الدار التونسية للنشـــــــــر، د.ط، 1984، ص : 318.
(49) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج2، شركة العاتك، القاهرة، ط.2، 2003، ص : 140.
(50) الألوسي، روح المعاني، ج3، ص : 14.
(51) عبد الحميد أحمد يوسف هنـــــــداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2002، ص : 170.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com